دراسة بلاغية لبعض آيات الجدال في القران الكريم

أ. سليمان مفتاح المنصوري ـ كلية التربية العجيلات ـ جامعة الزاوية

المقدمة :

الجدال ظاهرة صحية بين الناس في كثير من أمور حياتهم و لكن يجب أن يكون الهدف منه التعلم وليس المغالبة، و قد أورد القران الكريم صور كثيرة للجدال في سوره و منها جدال اليهود و النصارى و المشركين، و يهدف هذا البحث إلي إظهار بلاغة القران الكريم في هذا المجال، و يهدف الأسلوب ألقراني في الجدال لإقامة الحجة علي المجادلين بالإقناع و تحرير العقل من القيود القديمة التي أورثتها العهود القديمة و خاصة في جانب العقيدة، فجاءت آيات الجدال في القران بليغة محكمة في إظهار الحق و إقامة الحجة عليهم و تخليهم و تحررهم من القديم من أنفسهم، و ذلك بتنوع فنون البلاغة من علم المعاني و البيان و جاء استخدام هذه الفنون و فق مقتضي الحال، و حال السامع ولكن قد يخرج الخبر عن ضربه فتراه يأتي غير مؤكد للمكابر و المعاند و مؤكد لخالي الذهن لغرض بلاغي عظيم، و قد يأتي التصوير البياني للتهويل و التنفير للمجادل من موقفه ، وهذا التنوع و الغاية المثلي منه هي إقامة الحجة علي المجادل في أدب جدالي راق يقف الانسان مؤمناً بذلك و التسليم بالأمر الإلهي الذي حرر العقل، وجعل الإقناع هو الأساس في بناء العقل. و علي المسلمين يجب التقيد في جدالهم بالجدال القرآني الذي يأمر بالأدب في القران الكريم قال تعالي ((ادعُ إلي سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن ان ربك أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين)) [1]

مفهوم الجدال في اللغة :

تعد دراسة موضوع الجدال من أهم الموضوعات المهمة في حياتنا الحوارية التي تنقلب أحياناً إلى جدال بين المتحاورين ومحاولة كل منهما إقامة الحجة علي خصمه , والجدال مسلك سلكته كثير من الأمم التي سجل القرآن الكريم جدالهم مثل : اليهود والنصارى والمشركين ... وقبل تناول الجدال في القرآن الكريم لابد من بيان الجدال لغة ثم اصطلاحاً و قد ورد لفظ جدل بعدة معان والذى يهمنا في هذه الدراسة هو ما يتعلق بالخصومة و إقامة الحجة قال ابن منظور : والجدل اللدد في الخصومة و القدرة عليها . جادلتُ الرجل فجدلته جدلاً أي غلبته , و رجل جَدْلِ و مُجَدَل ومِجْدال شديد الجدل و يقال جادلت الرجل فجدلته جَدْلاً أي غلبته , ورجل جَدِل إذا كان أقوى في الخصام وجادله أي خاصمه مجادلة و جدالاً و الاسم الجدَلِ وهو شدة الخصومة[2]و قد ورد في تاج العروس بذات المعني المذكور في السان , ففي تاج العروس و الجدل مُحركة اللدد في الخصومة و القدرة عليها ومنه أُخِذ الجَدَل المنطقي : الذى هو القياس المؤلف من المشهورات أو المسلمات والغرض منه إلزام الخصم و إفهام من هو قاصر عند إدراك مقدمات البرهان .....والمجادلة والجدال : المخاصمة والخِصام و الجدال هو المفاوضة علي سبيل المنازعة والمغالبة وذكر صاحب تاج العروس :– والجدل محركة لذو الخصومة والقدرة عليها ومنه أخذ الجدل

المنطقي : الذي هو القياس المؤلف من المشهورات او المسلمات والغرض منه إلزام الخصم وإفهام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان ....، والمجادلة والجدال – والمخاصمة والخصام والجدال هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، وكل من الجدل والجدال والمجادلة جاء في القرآن و ذكر أيضاً عن ابن الكمال قوله : الجدال و ذكر صاحب تاج العروس :– وكل من الجدل والجدال والمجادلة .

مِراءٌ يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها. وذكر أيضاً عن الفيومي قوله : هو التخاصم بما يَشْغَلُ عن ظهور الحق ووضوح الصواب ثم أستُعمِل علي لسان حملة الشرع في مقابل الأدلة , لظهور أرجحها وهو محمود إن كان للوقوف علي الحق و إلا مذموم .[3]

أما المصدر الحديث فهو المنجد في اللغة و الأعلام وردت فيه لفظة جدل بمعان كثير أسوة بغيره من المعاجم وسأقتصر علي ما يهمني في الدراسة فلفظة جدل في هذا المعجم : جدلا الرجل اشتدت خصومته . جادل جدالا ومجادلة اشتدت خصومته . جادل جدالا و مجادلته خاصمه – والجدل شدة الخصومة (المهارة في الخصومة)عند المنطقيين : هو القياس المؤلف من مقدمات مشهورة أو مسلم بها أي قياس مفيد للتصديق لا تغير فيه الحقيقة وعدمها بل عموم الاعتراف والتسليم كقولك فلان يطوف في الليل فهو لص والغرض منه إلزام و إقحام من هو قاصر عن إدراك البرهان .[4]

ومن خلال ما أوردته من المعاجم في معنى الجدال يكاد يكون موحداً، لأنه يتعلق بالخصومة بين الناس و إظهار القدرة علي استخدام الأدلة والبراهين لإقامة الحجة علي الخصم و إقناعه بدعوته التي يدعو إليها , الجدال يعتمد في نظري علي حصافة المجادل و قدرته علي استخدام الأدلة و البراهين المتاحة له , والجدال يتوجه إلي العقل فإن هذه الدراسة تخص الجدال في القرآن الكريم و يهدف القرآن من هذا الجدال الذي نشأ نتيجة عدم تقبل أصحاب الرسالات الأخرى لهذا المولود الجديد فلجأ إلي الجدال، لأن الإقناع هو السبيل الذي سلكة القران الكريم في استقطاب الناس نحو الدين الحق وهو العقيدة الإسلامية .

مقامات الجدال لدى المخاطبين

الأول جدال اليهود:–

عندما حل سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – في يثرب معقل اليهود التقى مع اليهود وجهاً لوجه فأحسن معاملتهم وأمنهم على أموالهم وأنفسهم ، ثم عاهدهم في صحائف مكتوبة ، وأعطاهم فيها الوفاء بالعهد ماداموا موفين بالعهد ، وقد طلب من جميع المسلمين الوفاء بما جاء فيها [5] بل جعل لليهود نصيباً من المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين ، كما شرط عليهم النفقة معهم في الحروب [6] من هنا أرى أن علاقات اليهود مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومع المسلمين لم تكن سيئة في الأيام الأولى ، وذلك لأن اليهود رأت الإسلام دين اعترف بأنبيائهم ، وأنه دين توحيد ، وهو دين يناهض الأوثان وهو قريب في بعض أحكامه من أحكام ديانتهم ، فأباح للمسلمين طعامهم على سبيل التسامح وجاز كذلك الزواج من بناتهم قال تعالى:[الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ

لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ] [7] وقد ساعد اتخاذ الرسول – صلى الله عليه وسلم – بيت المقدس قبلة له في الصلاة تأليفا لقلوبهم وأضاف إليها أيضاً صيام يوم عاشوراء عندما وجد اليهود يصومونه ، فقال صلى لله عليه وسلم – ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله فيه بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى " فقال أنا أحق بموسى .....

منكم فصامه وأمر بصيامه [8] وكانت اليهود تعده عيداً . وعندما علم اليهود إن رسالة الإسلام إليهم أيضاً لإصلاح ما طرأ على دينهم من بدع ، وما اعتور طبائعهم وأخلاقهم من فساد وانحراف عن أصول دينهم ناصبوا الإسلام العداء وعدم الإيمان بما جاء الرسول الكريم صلى لله عليه وسلم به – قال تعالى مذكراً بني إسرائيل بما تفضل عليهم حتى ينصاعوا لأوامر الله قال تعالى:[يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41) وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42)] [9] .

أعلنت اليهود العداوة للرسول – صلى لله عليه وسلم – عندما وجهت لهم دعوة الإسلام حينئذ تطور النزاع بين الرسول – صلى الله عليه وسلم – واليهود بالمناقشة الدينية المتبادلة بين الطرفين فكان أحبار اليهود يوجهون الأسئلة إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويظنون فيها إلى حد التعجيز ، فكان القرآن ينزل فيما يسألون عنه وكانوا يطالبون الرسول بأن يأتي بالمعجزات ، وقد صرح القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى :[الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ] [10]

واستمر اليهود في جدالهم لرسول – صلى الله عليه وسلم – فجاء القرآن الكريم بآيات تثبت جدلهم وخصامهم، لأن اليهود وغيرهم من أهل الكتاب والمشركين يعرفون حقيقة الرسول – صلى لله عليه وسلم – ، ولكن حادوا عن جادة الصواب ، وقلدوا غيرهم من الأمم في عبادة الأصنام قال تعالى مؤكداً انحرافهم عن حقيقة التوحيد :[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً (51) [11].

تذكر الآية اليهود بأنهم أعطوا حظاً من التوراة ، ولكنهم يؤمنون بالأوثان والأصنام وكل معبود دون الله ونراهم يرفعون من شأن كفار قريش، بأن جعلوهم أهدى من سيدنا محمد – صلى لله عليه وسلم – وأصحابه وهذا خير دليل على جهل اليهود وقلة دينهم وكفرهم بكتاب الله الذي بين أيديهم .

وقد بدأت الآية بالأسلوب الإنشائي وهو استفهام مراد به التعجب على سبيل المجاز المرسل يهدف اليهود من قولهم هذا نيل تعاطف كفار قريش حتى يكونوا لهم حلفا يساندهم ويقويهم ضد الدعوة الإسلامية ، ويعرف اليهود أن قولهم كاذب، لأنهم يعرفون أن عبادة الأصنام لا تمت للسماء بصلة ولهذا قال صاحبا قاموس التداولية :" .... عندما يصنع متكلم قولاً كاذباً تكون له جملة من المقاصد أهمها إقناع مخاطبيه أن القضية التي يعبر عنها قوله صادقة, والحال أن المتكلم يعتقد أنها كاذبة للوصول إلى هذه

النتيجة (وهو عمل التأثير بالقول) يلقي القائل جملة يكون لها في الغالب قوة متضمنة في القول إخبارية و اثباتية "[12]

لقد أثبت القرآن الكريم كذبهم ، وبين فكرهم الواهي والخالي من أي تفكير سليم وبذلك خسروا منزلتهم عند الله ، وخرجوا من ملة المؤمنين بكذبهم وحسدهم .قال تعالى:[وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)][13].

وختم الآية بقولة تعالى : :[فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)][14].

مراعاة لمقتضى الحال وهو إنكارهم حقيقة التوحيد التي عرفوها والمدقق في الآية يرى استخدام :[فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ] ولم يقل عليهم ليشعرهم بأن سبب حلول اللعنة هو كفرهم الفضيع فلا تكون لهم حجة في جدالهم .

والدافع للجدال لدى الرسول – صلى لله عليه وسلم – لليهود عدة عوامل وأوردها القرآن الكريم منها :-

1. مخالفتهم للشرائع التي كلف بها أنبيائهم ، وجنوحهم إلى غيرها إذا وجدوا فيها منافعاً دنيوية قال تعالى موجهاً خطابه لسيدنا محمد – صلى لله عليه وسلم – : (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ)[15]

أي كيف يحكموك يا محمد – صلى لله عليه وسلم – هؤلا اليهود ويرضون بحكمك وعندهم التوراة فيها حكم الله يرونه ولا يعملون به، ويظهر سبب الجدال في هذه الآية قوله تعالى: [ثم يتولون من بعد ذلك] لأنها تظهر إعراضهم عن الحكم الذي حكم به النبي محمد ¯ صلى لله عليه وسلم – ، وهو حكم موافق لكتابهم ثم ذكر الله اليهود بأن التوراة نزلها على موسى عليه السلام. فيها بيان واضح، والتوراة يحكم بها أنبياء بني إسرائيل ولا يخرجون عن حكمها وهذا إلزام لهم ولا يحق لهم مخالفتها كما أمر الله تعالى علماء وفقهاء بني إسرائيل بحفظ كتابه من التحريف والتضييع ، فهم رقباء ولكن اليهود أعرضوا عن ذلك لحسدهم وبغضهم للمسلمين .

ونرى في الدراسة البلاغية للآية: بها مجاز مرسل في قوله تعالى : [وكيف يحكمونك وعندهم التوراة] وغرضه التعجب من تحكيمهم للرسول – صلى لله عليه وسلم – وهم لا يؤمنون به ولا بكتابه ، وفي قوله تعالى : [وما أولئك بالمؤمنين] الإشارة بالبعد للإيذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة .

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في بلاغة هذه الآية " ويحتمل أن الاستفهام إنكاري أي هم لا يحكمونك حقاً ومحل الإنكار هو أصل ما يدل عليه الفعل من كون فاعله جاداً

أي لا يكون تحكيمهم صادقاً، بل هو تحكيم صوري يبتغون به ما يوافق هواءهم، لأن لديهم التوراة ."[16]

وفي قوله تعالى : [إنا أنزلنا التوراة...] فيها استعارة حيث ، أستعير لفظ النزول للتوراة ليدل على أنها وحي من عند الله ويقول صاحب كتاب التفسير " التحرير والتنوير " فاستعير النزول لبلوغ الوحي، لأنه شيء من لدن عظيم والعظيم يتخيل عالياً[17]

والنور أيضاً استعارة وهي تفيد تجسيم المعنوي في صورة مادية يقبلها العقل . فهي جسمت الدين بالنور الذي يهدي تابعه إلى الطريق السليم ، وفي قوله تعالى : [الذين أسلموا] كناية على شرف الإسلام وفضله إذا كان دين الأنبياء . وفي قوله تعالى : [إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور] جاءت الآية مؤكدة لبيان مقتضى الحال لليهود فهم مخالفون أو منكرون ما جاءت به التوراة. لأن الغفلة توحي بالإنكار ، والذي يدل على غفلتهم وصف الله تعالى التوراة بأنها وحي من الله تعالى أو معاندتهم للرسول – صلى لله عليه وسلم – وأحياناً استجابة لأخبارهم قال تعالى : [اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)] [18].

في هذه الآية ينفي القرآن دعاو اليهود بأنهم وحدهم على صواب وغيرهم على باطل، بل هم في ضلال لأتباعهم أحبارهم فيما أحلوا لهم من المحرمات وفيما حرموه عليهم من الحلال ، والجملة " اتخذوا أحبارهم " تقرير لمضمون جملة [وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ][19]. ليبني على التقرير زيادة التشفيع بقوله : [وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً] .

جاءت الآية الأولى خالية من المؤكدات وكان مقتضى الحال أن يلق إليهم مؤكداً كما يلقي لغير المنكرين، لأن بين أيدي اليهود من الأدلة على مخالفتهم للتوراة ما فيه منتهى الإقناع لهم وليقيم عليهم الحجة بالدليل من أنفسهم ، وفي جملة : " وما أمروا إلا ليعبدو إلهاً واحد " تأكيد على أحقية التوحيد في دينهم وهو ما يعلم بالضرورة في الدين والغرض البلاغي هو الارتداع عن أفكارهم كما ورد في التوراة ، ولذلك ألقى إليهم الخبر خالياً من التوكيد وفي الآية تشبيه بليغ حيث حذف أداة الشبه ووجه[20].

الشبه في قوله تعالى :[اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً] أي بمعنى أطاعوهم في كل شيء.

2ـ والإسلام لا يكره أحداً على معتقداته ، و لم يلزم أصحاب الرسالات على اعتناق الإسلام، لأن مبدأ الإسلام لا إكراه في الدين غير أنه بين لهم أن الرسول – صلى لله عليه وسلم – جاء مصدقاً لما معهم ، ويجب عليهم العودة إلى الحق وترك ما وضعه رهبانهم وعلماؤهم من خرافات وانحرافات قال تعالى [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنْ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (19)] [21].

هذا النداء الرباني دعوة لأصحاب الرسالات السابقة بالعودة إلى ما جاء به القرآن الكريم ، وبها إثبات لصدق لما معهم ويظهر فيها توجيههم للإيمان بهذا الرسول ويجب عليهم نصرته فلا مجال لإنكار هذا الدين الجديد، لأنه من عند الله ، ولا مجال لوصفهم بما لا يليق به .

والله في هذه الآية استخدم أسلوب النداء، لكي يشعرهم بأنهم أصحاب رسالة في هذه الحياة وليسوا بغربيين على الله فهم أصحاب رسالة من عنده تعالى ولكن طال عليهم الأمد ومرت عليهم حوادث فلعلهم نسوا ما جاء في دينهم ، وألبس عليهم الأمر وفي أحيان أخرى يكون هذا الموقف متعمداً من قبلهم والقرآن الكريم يحوي هذا قال تعالى :[ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون][22].

3ـ جاءت الآية التاسعة عشرة في سورة المائدة مؤكدة لتراعي مقتضى الحال لأهل الرسالات السابقة هذا بعد الأسلوب الإنشائي وهو قوله تعالى : [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ] الذي يوحي بشد انتباههم لما هو أت .

فضرب الخبر في هذه الآية إنكار وذلك لتأكيده " بقد " وسبق بالنداء الذي خرج من معناه الأصلي إلى معنى بلاغي يفيد الإغراء بالعودة إلى الإسلام الذي جاء مصدقاً لما معهم والسائد في هذه الآية هو التأكيد بقد وقد هنا حرف يفيد التحقيق والتأكيد .

والمغزى من هذا التأكيد هو إثبات إنكار ومعاندة اليهود لحقيقة الوحي ، وقد ذكرت الآية المسند إليه في قوله تعالى : [قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا] وفي قوله تعالى أيضاً: [فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ] لغرض التقرير ولإيضاح الذات ، وفي قوله : " على فترة من الرسل " بها مجاز مرسل .[23] لأن حرف على جاوز الحقية اللغوية إلى معنى " بعد " لأن المستعلى يستقر بعد استقرار ما يستعلى هو فوقه فشبه استقراره بعده باستعلائه عليه فاستعير له حرف الدال للاستطلاع وفي قوله تعالى : [أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ] إجاز حذف اعتمادا على قرينة السياق والمقام والتقدير : أن لا تقول ما جاءنا من بشير .

وفي قوله تعالى : [فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِير] حسن تعليل أما قوله تعالى في سورة البقرة الآية (101) فقد جاء فيها تقديم المسند إلية منكراً لغرض التفخيم والتكريم لشأن الرسول – صلى لله عليه وسلم – وفي قوله تعالى : [وراء ظهورهم] مثل يضرب للإعراض عن الشيء جملة وهي كناية عن الإعراض عن التوراة بالكلية[24] .

وبها تشبيه في قوله تعالى :[كأنهم لا يعلمون][25] . فإن جمال هذا التشبيه جاء من الشعور ببراعة القرآن الكريم .[26] في بعد مرماه وما فيه خيال في تصوير حال هؤلاء المنكرين لرسالة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم .

4ـ قال تعالى : [وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18)][27].

هذا زعم وافتراء مشترك بين اليهود والنصارى يدل على عدم صدقهم في زعمهم بأنهم أعزة عليه كالأب على الأبناء يعطف عليهم ويرحمهم ويحبهم ، ولعل منطق اليهود راجع إلى إدعائهم بأنهم شعب الله المختار ولكن رد الله عليهم كما في الآية السابقة بما معناه : قل لهم يا محمد إذا كان الأمر كذلك كما تزعمون وتدعون فلم يعذبكم بذنوبكم في الدنيا كما ترون من تخريب دياركم وهدم الوثنيين معبدكم في بيت المقدس[28].

وعطف " واحباؤه " على " أبناء الله " له دلالته فهم ابناء محبوبون غير مغضوب عليهم ، ولكن هذا الزعم محل جدال بينهم وبين الرسول – صلى لله عليه وسلم – وأعلَّم الله الرسول أن يقول لهم في قوله تعالى : [قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ] . فلو كانوا ابناء الله وأحباءه لما عذبهم بذنوبهم وهذا دليل عليهم وليس لهم . وهو إقناع عقلي يدفعهم إلى عدم الرد، لأن كتبهم طافحة بذكر العذاب في الدنيا والآخرة . وهذا الزعم يعد كاذباً من قبلهم ولعلى أرى أنهم يعرفون كذب إدعائهم. وهذا طبيعي في البشر يكذب الكذبة

ويصدقها قالا صاحبا القاموس الموسوعي للتداولية تأكيد لما في النفس البشرية " ... إن من الشروط الأساسية للكذب باعتباره عملاً لغوياً أن يعتقد القائل في كذب الجملة التي ينطق بها كما أن من شروط نجاح هذا العمل اللغوي الأساسية أن يعتقد المخاطب في صدقها "[29].

لان اليهود لم يكونوا من أحد وجهين إما أن يقولوا هو يعذبنا فيقال لهم لستم إذاً أبناءه وأحباءه فإن الحبيب لا يعذب حبيبه ، وأنتم تقرون بعذابه فذلك دليل على كذبهم – والمسمى عند الجدليين برهان الخلف – أو يقولوا : لا يعذبنا فيكذبوا ما في كتبهم وما جاءت بهم رسلهم [30]. وبهذا فلن يستطيعوا إقناع النبي – صلى الله عليه وسلم – بدعواهم فبطل إدعاؤهم في جدالهم .

5. خاطب الله تعالى اليهود والنصارى بأهل الكتاب ولم يخاطبهم بالعصاة مثلاً بل جعل لهم مرجعاً يرجعون إليه وهو الكتاب المقدس التوراة وتكون هناك صلة بينهم وبين الله ، ولم يلزمهم بالأمر في تصديق النبي – صلى الله عليه وسلم – إنما ذكر لهم عاقبة مخالفتهم رسالة الإسلام، لأن النفس البشرية ممتنعة عن القيام بالعمل بصيفته ولهذا أبقى القرآن على نوع من الحوار والانسجام في محاورتهم وليس بها تغيير من الدين الجديد بل الترغيب فيه . يقول صاحبا معجم تحليل الخطاب وهما : باتريك شارودو – دومينيك مغنتو ونقلاً عن ترجمة عبد القادر المهيري – حمادي صمود : " على المتحاورين للإبقاء على حد أدنى من الانسجام بينهم أن يبذلوا جهداً لتلطيف كل ما يذهب بماء الوجه "[31]. ثم من هذا الجدال وضحت الحقيقة وكشف الله تعالى لليهود طريقة الهداية، لأن موضوع رسالات الرسل هو توحيد الله ونبد كل صور التحريف والإدعاء الباطل الذان يؤديان بالبشرية إلى التشرد وتنحرف عن المنهج المرسوم لها ، و إما أن تسير البشرية داخل النطاق الشامل الذي أختاره الله لها وفق الرشد العقلي الذي يؤدي بها إلى الوصول إلي الخطوة النهائية إلى توحيد الله والإيمان بأن الرسالات الإلهية ودعوة الرسل واحدة وهي عبادة الله وحده ونبذ لعبادة غيره .

ثانيا جدال النصاري:

جاءت المسيحية بعد انتشار التحريف في التوراة من بعض اليهود، لإصلاح هذا التحريف في التوراة والتبديل في بعض نصوصها ودعت المسيحية للتوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى وكتابها الإنجيل الذي أنزله الله علي نبيه عيسى –عليه السلام– وهو آخر رسل بني إسرائيل –عليهم السلام– جميعاً وقد ورد اسمه في القرآن الكريم ضمن الرسل الذين قصهم الله علي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى :

((وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ(6))) [32]جاءت الآية تتممة لقصة موسى بذكر قصة عيسى بن مريم عليه السلام لقوم انحـرفوا عن طاعة الله ورسوله صلي الله عليه وسلم وكذبوا برسالات ربهم وحادوا عن الطريق المستقيم وهي تحذير للمخاطبين من المسلمين وللتنيه إلى ذكر إخبار عيسى بالرسول الذي يجيء بعده وقد نادى عيسى قومه ((بِبَنِي إِسْرَائِيلَ)) وذلك لشهرتهم

((بَنِي إِسْرَائِيلَ)) بعد موسى قال الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مؤكداً ذلك "ونادى عيسى قومه بعنوان "بني إسرائيل " دون "ياقوم" لأن بني إسرائيل بعد موسى اشتهروا بعنوان "بني إسرائيل " ولم يطلق عليهم عنوان : قوم موسى إلا في مدة حياة موسى –عليه السلام – خاصة فإنهم إنما صاروا أمـة بسببه وشريعته[33] ولعله لم يقل "ياقوم" كما قال موسى، لأنه لا نسب له فيهم فيكونون قومه [34] وكانت أمة مريم من أشرفهم نسباً.

الدراسات البلاغية في هذه الآية جاء الخبر مؤكداً في قول تعالى: ((إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ))

ذكر سيدنا عيسى –عليه السلام– هذا الخبر، ليفيد اليهود الحكم الذي تضمنه الخبر في الآية بأنه حق وليس افتراء علي الله ومن ناحية أخرى جاء مؤكداً لإنكار بعض اليهود رسالة عيسى –عليه السلام– جاء عيسى ابن مريم –عليه السلام– لإصلاح ماطرأ علي شريعة موسى – عليه السلام– وما أحدث فيها من تحريف من بعض اليهود وهذا مثار جدال بينه –عليه السلام– وبينهم فأكد الله تعالى للمجادلين بأن عيسى ابن مريم –عليه السلام – جاءهم بوحي من عند الله وبكتاب اسمه الإنجيل يتضمن كافة أحكام شريعة موسى – عليه السلام – قال تعالى في سورة المائدة : ((وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِن ْالتَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ (47))) [35].

تبين لنا الآيتان أن عيسى – عليه السلام – جاء بدعوة متممة لشريعة موسى – عليه السلام– فهي رسالة لاتعقيد فيها وجاء بنهج أسلافه فأهاب ببعض اليهود الذين حرفوا رسالة موسى –عليه السلام– بالعودة إليها وأن يخلصوا لله العبادة وأن يلتزموا بالأوامر والنواهي التي جاءت بها ولكن المجادل لايقنع بالجديد إلابعد حين .

الدراسات البلاغية اشتملت الآية علي التشبيه البليغ ، وهو تشبيه الإنجيل بالنور والهدى ، وحذف الأداة ليكونا نفس الإنجيل للمبالغة .

وفي الآيتين تكرار في الجمل لزيادة التوكيد وإقامة للحجة علي المنكرين علي نبي الله عيسي–عليه السلام– لأن مقتضى الحال يتطلب هذا التوكيد لأنهم منكرون لرسالته.

كلنا يعرف أن الإنجيل جاء ليبين لهم ويبلغهم أوامر الله ويوضح ما أنزل عليهم من تشريعات جديدة مثل تحليل ما كان محرماً في شريعة موسى –عليه السلام – وهي عقوبة لهم بسبب ظلمهم وطغيانهم قال تعالى : ((فَبِظُلْمٍ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً (160) وَأَخْذِهِمْ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (161)[36]

تضمنت الآية تأكيد المعنى بزيادة حرف في قوله تعالى : ((فيما نقضهم)) أي فبنقضهم، لأن مقتضى الحال يحسن فيه الكلام أن يكون مؤكداً، لأن الكلام جاء ليس لإطلاق حكم بل إثباته علي بعض

المسيحيين قال صاحب كتاب مفتاح العلوم يؤكد ذلك فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم، فيحسن الكلام تجريده من مؤكدات الحكم ، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فيحسن تحليه بشيء من ذلك ، بحسب المقتضى ضعفا وقوة [37] وفيها إبهام بالتنوين ليعلم القارئ أو السامع أن أي أنواع الظلم يكون سبباً للعقاب في الدنيا قبل الآخرة وكلنا يعرف أن العقاب قسمان : دنيوي وأخروي ، والأول قسمان : وضعي كالتكاليف الشرعية الشاقة في زمن التشريع والجزاء الوارد فيها في نظام الاجتماع من كون الظلم سبباً لضعف الأمم وفساد عمرانها واستيلاء أمة علي أخرى [38] وجاء المسند إليه منكراً للتعظيم ، والعدول عن أن يقول ((فبظلمهم))حتي تأتي الضمائر متتابعة .

يبين الله تعالى في القرآن الكريم لنبيه عيسى – عليه السلام–إن بعض النصارى واليهود كان جدالهم باطلاً لا خير فيه، لأنهم يريدون به المغالطة والعناد وطلب الله من نبيه –عليه السلام– الإعراض عنهم قال تعالى : ((فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد (20)إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنْ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21).[39]
أي لا فائدة في الجدال مع هؤلاء المغالطين المعاندين، لأن الجدال إلا فيما فيه لبس، أما وقد قامت الأدلة عليهم وبطلت شبهاتهم فيجب الإعراض عنهم لمكابرتهم وإن الذين طغت المعاندة والمكابرة، علي قلوبهم وغطت علي حكم الله فهؤلاء خالفوا الشريعة فقتلوا الأنبياء وأهل العدل فخسروا الدنيا والآخرة.

اشتملت الآيتان علي المجاز المرسل في قوله تعالى : ((أَسْلَمْتُ وَجْهِي)) تعبيراً عن الكل بإشراق أعضائه وهو الوجه من إطلاق الجزء وأراد به الكل أي أسلمت نفسى لحكم الله والعلاقة هنا كلية .

والاستفهام في قوله تعالى : ((أَأَسْلَمْتُمْ)) أفاد التنديد والتعبير بهذا الأسلوب الإنشائي كأنما قد أفرغ جهده في مناصحتهم ولم يترك وسيلة إلا خاطبهم بها لتنوير أفهامهم ولكنهم لم يفهموا، وفي هذا الضرب من الأسلوب الإنشائي استركاك لعقولهم وامتهان لأفهامهم فلم يبق أمامه سوى أن يسألهم منددا.

بقوله تعالى :

((أَأَسْلَمْتُمْ)) بعد هذا كله أم لا فائدة ترجى، لأن البراهين أضيع ما يكون لديهم.

وفي قوله تعالى :

((لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ)) التعبير عن اليهود بقوله أوتوا الكتاب لزيادة التشنيع والتقبيح عليهم ، فإن اختلافهم مع علمهم بالكتاب في غاية القبح والشناعة .

وفي قوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنْ النَّاسِ)) إظهار حيث أظهر الاسم الجليل جعل المتلقي يربى نفسه علي المهابة وفيها إدخال الروعة في النفس.

وفي قوله تعالى : ((فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)) فيها تهكم ويسمى "بالأسلوب التهكمي " حيث نزل الإنذار منزلة البشارة السارة وفي قوله تعالى : ((أَسْلَمْتُ وَجْهِي)) أطلق الوجه وأراد الكل فهو مجاز مرسل ، واقتضى

المقام في هذه المجادلة الإيتان بهذه الصور البلاغية من معان وبيان مقام الترغيب لسيدنا عيسى –عليه السلام – والترهيب للنصارى واليهود الذين يكابرون ويعاندون .

ولذلك جاءت الآية الأولى مؤكدة بأن ثم جاء القصر في قوله تعالى :((فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ)) فجاء تأكيداً للحكم ومقتض الحال وقد تحققت في هذه الآية خمسة أصناف من الأعمال اللغوية : الإثباتية والتوجيهية والوعدية والتعبيرية والتصريحية وهذا إعجاز قرآني أثبتته الدراسات الحديثة في تحليل الخطاب[40]

اشتد جدال بعض اليهود لنبي الله عيسى – عليه السلام – لعدم قناعتهم بالمبادئ السامية التي جاء بها عليه السلام بعد التحريف الذي لحق بالتوراة ، فأكد لهم أنه رسول بعثه الله بمعجزات تؤيد رسالته ،وحجة علي صدق رسالته، فهو يشفى بتقدير من الله من ولد أعمى ويجعله مبصراً، ويشفى بإذن الله داء البرص ، يعيد الحياة لمن فقدها ، فأنكروا عليه ذلك، فأتهم بمعجزة تخص بيوتهم ، فأخبرهم بما يأكلون وما يدخرون ، فما لا سبيل إلي إنكاره بفضل الخوارق التي أجراها الله علي يدي رسوله – عليه السلام – فهي حجة دامغة على صدق الرسالة قال تعالى مؤكداً ذلك : ((وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ(48) وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49)))[41]

تظهر الآيتان معاندة بعض اليهود لنبي الله –عليه السلام– فجاءت الآيتان مؤكدة لمقتضى الحال الذي يتطلب ذلك وفق علم المعاني ومن هذه المظاهر في قوله تعالى :((يُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)) حيث نسب الله تعالى علم عيسى – عليه السلام – الآتي من عند الله للتأكيد علي صدق رسالة عيسى –عليه السلام – فذكر المسند والمسند إليه فالفعل المضارع "يعلم " يدل على الاستمرار والتجدد في المستقبل والمسند إليه هو لفظ الله المتمثل في الضمير المستتر للعلم به لدى المتلقي وذكر القيد المتمثل في الضمير الذي يعود على عيسى – عليه السلام – والكتاب ، الحكمة –التوراة –والإنجيل

تم القيد الثاني وهو رسول وهو الحال ، وجاءت لإلغاء الوهم .

لاحظ عيسى – عليه السلام – عنادهم بالرغم من خصوصية رسالة عيسى –عليه السلام– لليهود وأحس بإنكارهم فجاء قوله مؤكداً بان وقد فقال ((أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ)) وأن في الآية جاءت لتأكيد الارتياب قال السكاكي في كتابه مفتاح العلوم"إن مع المرتابين" فأما لقصد التوبيخ علي الريبة لإشتمال المقام علي ما يقلها عن أصلها.[42] وتصوير أن المقام لا يصلح إلا لمجرد الارتياب وهذا ينطبق علي اليهود في المقام وفي قوله تعالى علي لسان عيسى عليه السلام : ((أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ)) أساليب خبرية الغرض منها إظهار العبودية لله تعالى مؤكدها قوله تعالى : ((بِإِذْنِ اللَّهِ)) وفي قوله تعالى : ((كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ)) تشبيه حذف وجه الشبه لغرض التدبر وإراد كل وجه

شبه محتمل للموقف في التصوير وأخلق استخدم استخداماً مجازياً مرسلاً علاقته المسببة لأن عيسى – عليه السلام– هو الذي يتسبب في الرسم.

وفيها قصر في قوله تعالى : ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً)) حيث قدم خبر إن على اسمها والغرض منه التخصيص.

ولكن عنادهم ومكابرتهم وقفت حائلاً بينهم وبين نبي الله –عليه السلام–عيسى فقال لهم جئتكم من ربكم عاملاً بالتوراة لأبيح لكم بأمر الله بعض الطيبات التي كانت حرمت عليكم واعبدوا الله وحده ولا تصروا على الكفر فهو ربي وربكم .

قال تعالى :

((علي لسان عيسى – عليه السلام وتطميناً لنبي الله سيدنا محمد – صلي الله عليه وسلم ((وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (51)))[43]

إن هاتين الآيتين جاءتا تأكيداً لما قبلهما وبهما وصل ففي قوله تعالى : ((وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ)) تأكيد لقوله تعالى الأول ((أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُم)) فالآية ((وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ)) غير مؤكدة فأنزلت المنكر منزلة خالي الدهن إن كان لديه من الدلائل علي ضرر الجهل ما لوتأمله لارتدع عن إنكاره ولهذا ألقي إليهم الخبر خالياً من التأكيد وفي قوله تعالى : ((هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)) أسلوب خبري الغرض منه التنبيه ، وفي قوله تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ)) خبر مؤكد لأن الحال يقتضي التأكيد بأن ، لكي يرفع عنهم الغشاوة والغرض من التأكيد الاهتمام بالتقوى والطاعة وفي قوله تعالى : ((وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ)) طباق بين لفظي "أحل "حرم" وبها ازداد الكلام حسناً وطرافة .

هذه الأدلة التي ذكرها سيدنا عيسى– عليه السلام – جاءت دليلاً قاطعاً علي جدال اليهود له ، من الذين انشقوا وانحرفوا علي المبادئ السامية التي جاء بها عليه السلام وهذه دليل علي جدالهم الكاذب في خطابهم الذي يحاولون فيه دحض أدلة سيدنا عيسى علي صدق رسالته ، لكنه دحض عسير عليهم قال باتريك شارودو دومنيك مغنو في سفسطائية في المنطق استدلال منازعتي وهو من وجهة نظر تفاعلية خطاب مخرج كـاذب تلاعبي يتقبل على أنه خاطئ بداهة[44]

وهذا دليل آخر علي جدال المنحرفين في العقيدة من أحبار وقسيسين ورهبان ، فلم يجدوا وسيلة إلا أن يبيتوا النية لقتل الرسول عيسى – عليه السلام – وليس هذا جديداً عندهم، بل قتلوا الذين جاءوهم بالحق من قبل ولكنهم لم يقتلوا عيسى – عليه السلام .

قال تعالى :

((وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً (156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (158). [45]

تؤكد هاتان الآيتان شدة جدال اليهود للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى – عليه السلام – ولعلهم يسعون إلي الطعن في رسالة الإسلام حتى ينالوا ثقة كفار قريش فيبسطوا عليهم قناعاتهم فلا يصدقوا محمد – عليه الصلاة والسلام .

النتائج :

من خلال البحث نصل إلي النتائج التالية :

1. الجدال ظاهرة إجتماعية صحية بين المتجادلين منذ القدم وليست مغالبة بينهم ، فقد استخدمتها الأمم وكذلك أكدها القرآن الكريم .
2. يهدف الجدال في القرآن الكريم لإقناع اليهود والنصارى بالعقيدة الجديدة دون قهر وتعسف .
3. التأدب في الجدال بين المتجادلين ، والإعتماد علي العقل.
4. الجدال نمط من أنماط التعلم بين أفراد المجتمع.
5. وظيفة الجدال البناء العقلي عند الجماعة.
6. التمسك بالجدال عند إنقلاب الحوار إلي مغالبة حتى يسود الوفاق.
7. للجدال فوائد كبيرة نتعلمها من القرآن الكريم من خلال جداله للسابقين.

الخاتمة :

من خلال الآيات التي أوردتها في جدال اليهود و النصارى و التي تنوعت في فنونها البلاغية ، و خاصة أن اليهود و النصارى يعلمون حقيقة الرسل ، فهم عندهم علم بذلك و لكن القران الكريم في مجادلتهم استخدم الأساليب الغير المؤكدة لمعاملتهم معاملة الغافل لان الغفلة نوع من الإنكار تؤدي لعقاب ، و في أحياناً خروج الخبر عن المألوف فلم يأت علي صيغة واحدة مراعاة لمقتضي الحال فهذه الآيات تهدف إلي إقناع أهل الكتاب بالحق ، وبالعقل يتم الإقناع ، فالآيات لم تغيب العقل بل جعلته أساساً لإقامة الحجة عليهم ، و بيان بطلا دعوهم و ربما كان كذبهم الغرض منه هم اجاد مصدقاً لهم و لكن الله كشفهم في هذه الآيات بأسلوب بلاغي جميل و هذا المسار في الجدال ألقراني جعل الإنسانية هي الغاية المثلى بعيداً عن التزلف و المداهنة و بذلك تم الإقناع بما يهدف إليه القران الكريم عند المجادلين فوقفوا مذهولين أمام التنوع البلاغي البديع فأنار الطريق أمام العقل بعيداً عن الإجبار و الإكراه.

هوامش البحث :

1- سورة النور

2- لسان العرب لابن منظور_ محمد بن مكروم بن منظور الافريقي المصري ص 105 ج 11 – الطبقة الأولى _ دار صادر بيروت

3- تاج العروس للزبيدي ص 3 ج 3

4- المنجد في اللغة والأعلام ص82 الطبعة الحاديه والعشرون دار الشروق _ بيروت لبنان

5- انظر ابن هشام جـ 3 – 74 .

6- انظر الروض الأنف للسهيلي جـ 2 – 17

7- سورة المائدة الآية 5

8- البخاري جـ 1 ص 498 .

9- سورة البقرة الآية 40.41.42

10- سورة آلا عمران الآية

11- سورة النساء الآية 51

12- القاموس الموسوعي للتداولية – جاك موشر ، أن ريبيول – ترجمة مجموعة من الاساتذة والباحثين باشراف عز الدين المجدوب ص 121 دار ..... المركز الوطني للترجمة تونس .

13- سورة البقرة الآية 89

14- سورة البقرة الآية 89

15- سورة المائدة الآية 43 – 44 .

16- تفسير التحرير والتنوير ، تأليف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ص 206 ، جـ 6 الدار التنوسية للنشر – تونس سنة 1984 م

17- نفس المصدر السابق، ص 207

18- سورة التوبة الآية 31 .

19- سورة التوبة الآية 30 .

20- ينظر الجامع لأحكام القرين لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ص 463 ، المجلد الرابع – دار الحديث القاهرة 2002 م

21- سورة المائدة الآية 19 .

22-سورة البقرة الآية 101 .

23- انظر تفسير التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ص 158 .

24- انظر الكشاف لابي القاسم جار الله محمود بن عمر الخورزمي جـ 2 ، ص 18 .

25-ينظر صفوة التفسير للشيخ محمد علي الصابوني

26-ينظر ملخص تلخيص في علوم البلاغة . للشيخ أبي يحى زكريا الأنصاري تحقيق السياق قبلان التركي ، ص 62 ، دار صياد ، بيروت ، ط : الأولى ، سنة 2008 .

27-سورة المائدة الآية 18 .

28-انظر تفسير الفريد للقرآن المجيد ، محمد عبد المنعم الجمال ، ص 695 دار الكتاب الجديد

29-انظر القاموس الموسوعي للتداولية ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب ص 121 .

30- انظر الجامع لأحكام القرآن لآبي عبد الله محمد بن أحمد النصاري القرطبي ، ص 487 ، المجلد 3 دار الحديث القاهرة مصر سنة 2002

31- معجم تحليل الخطاب بإشراف باتريك شارودو – دومينيك مغنو ترجمة عبد القادر المهيري – حمادي صمود – المركز الوطني للترجمة تونس ، ص 31 – دار – الدسينا ص – سيناترا

32- سورة الصف الآية (6).

33- التحرير والتنوير ص 180 جـ28.

34- أنظر القرطبي جـ18-ص83.

35- سورة المائدة الآية(46-47).

36- سورة النساء الآية (160-161)

37- مفتاح العلوم تأليف أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكأبي . ص169- منشورات

38- أنظر إعراب القرآن وبيانه تأليف الأستاذ محي الدين درويش ، المجلد الثاني 375.

39- سورة آل عمران الآيتان (20-21).

40-أنظر معجم تحليل الخطاب باشراف باتريك شارودود دومنيك ممغنو ، ترجمة عبدالقادر المهدي حمادى صمود دار ص 21.

41-سورة آل عمران الآيتان (48-49).

42- مفتاح العلوم للإمام سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي طبعه وعلق عليه نعيم زرزو، دار الكتاب العلمية ،بيرت لبنان ط، الثانية 1987- ص241.

43- سورة آل عمران الآيتان ((50-51)).

44- معجم الخطاب ترجمة عبدالقادر المهيري وحمادي حمود .ص 522- الشركة التونسية للترجمة تونس دار سيناترا.

45- سورة النساء الآيتان :(156-157- 158).